# من تراب الطريق (٢٩٩) شجيرة الورد !(*)

(١)

هل يستطيع طالب الورد أن يعثر على شجيرته بين الخصومات والعداوات ، وهل استطاعت الأديان أن تجمع الإنسانية على وداد المحبة ، ومباعدة العداوات ؟! اختار الأستاذ الشاعر المحامي الأديب محمد عبد الله محمد : «شجيرة الورد» عنوانًا لقصيدة يخوض فيها إلى أعمق الأعماق ، ويرصد عوامل نمو الأحقاد وتبادل العداوات بين الجماعات ، وهل يمكن لمجتهد أن يفهم الدين إذا استخف بتداخل هذه الأحقاد والعداوات التي يتصور باعثوها أنها يمكن أن تتوارى وراء علو صوت العبادات .. هذه الأحقاد التي تتجذر وتتصل حتى بعد الموت وتتحكم في الأرواح والمصائر إلى الأبد .. إن «شجيرة الورد» لا تبقى في الغابات إلا مع الأشواك .. مصيرها للأسف ليس في يدها ، بل في قبضة الغابة الشمطاء التي ترمز إلى شرور الحياة ، وماذا يفيد عبير أو أريج هذه «الشجيرة» إذا لم يشاركها فيه الأقارب من عشب ومن شجر ؟!

يقول الشاعر الحكيم محمد عبد الله محمد :

(*) المال ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٩

هذا إلى النارِ للإحراقِ يرصُدُهُ ... فإنَّهُ الخَصْمُ عادانا نُعاديهِ
شريعةُ الحرْبِ حمراءُ معالمُها ... لا يُخْطِئ الخَصْمُ ما فيها وما فَيهِ
بها الجماعاتُ أعداءٌ علىَ حَذَرٍ ... من بعضِها البعضُ تُبْدِيهِ وتُخْفِيهِ
وظيفةُ الدِّين تأييدٌ وتَعْبئةٌ ... يَحمِي الجماعةَ إذ يحيا ويَحْمِيهِ

***

وليسَ يُحْسنُ فَهْمَ الدينِ مجتَهِدٌ ... إذ استخَفَ بأحقادِ الجماعاتِ
فإنَّها ثَمَّ خَلْفَ الأمْرِ ماثِلةٌ ... وفي ثنايا النَّواهِي والإشاراتِ
وحيثُما زَمْجَرَ الإعصارُ وانطلقَتْ ... منه العداواتُ في صدَّ العداواتِ
فجلجل الويلُ والتنكيلُ وانَدَلعَتْ ... لظَى الصراعِ عَلاَ صوتُ العباداتِ!!

***

حِقْدُ الجماعاتِ بعد الموتِ متَّصِلٌ ... خَلْفَ المصائِر والأرواحِ في الأبد
فرعونُ لا تبرحُ التوراةُ تَلْعَنُهُ ... وكم يُصَلّى بهذا اللعْنِ منْ بَلدِ
كم تُشْركُ الربَّ في أحقادِها أمَمٌ ... وتَستعينُ عليها منه بالمَدَدِ
شريعةُ الحْربِ تحيا في ضرورتِها ... كل الجماعات لم تَعْدِلْ ولم تَعِدِ

***

شجيرةُ الورْدِ في الغاباتِ هلْ بَقيتْ ... إلاَّ مع الشوكِ شوكِ النافرِ الحذِرِ
مصيرُها رغم هذا ليس في يدِها ... في قَبْضَةِ الغابَةِ الشمطاءِ والقَدَرِ
ماذا يُفيدُ عبيرٌ لا يشارِكُها ... فيهِ الأقاربُ من عُشْبٍ ومن شَجَرِ
وإخْوَةُ الغابِ في صَيْدٍ وفي قَنصٍ ... بَعْضٌ لبعضٍ على وَعْدٍ مع الخَطَرِ

***

أخي، الجماعةُ في حَرْبٍ وإن لَعِبَتْ فقلبُها بين مغلوبٍ ومنتصِرِ
يَبِيتُ يحلُمُ رؤيا الحربِ شاعرُها فقد يُرَصَّع يَومَ النصرِ بالدُّرَرِ
وقد يُغنِّي مع الأطفالِ قِصَّتَهَا وقد يقودُ هُتافَ الشَّيبِ لِلسَّيَرِ
فلا غرابةَ والأسبابُ داعيةٌ إذا تَعَلَّقَ دِينُ القوْمِ بالظَّفَرِ

***

لم يولَدِ السلمُ فالأرحامُ عاجزةٌ عنْ حمْلِهِ وبذورُ الحرب تَمْلاَها
وكلما نَشَبَتْ في الفكرِ فِكْرَتُهُ عدا من الخوف عادِيه فأجلاها
فَظَلَّ شوقَ عقيماتٍ يداعبُها ماهَزَّ نَشْوَة أحْضَانٍ وملأَهَا
أخي، الجماعةُ لا تَنْسَى معارِكَها فيها تُحِسُّ بمعناها ومبناها

***

«لشجيرة الورد بقية»